University of Zawia - Faculty of Arts Journal (UZFAJ)
Volume 26, Issue 2, (2026), 541-561, ISSN: 2521-9235

The Contributions of Islamic Legislation to Promoting the Value of Citizenship among Muslims

Ziad Nasrat
Department of Tafsir and Hadith, Faculty of Sharia, University of Zawia, Zawia, Libya
z.nasrat@zu.edu.ly

Received 22 /06 /2026 | Accepted 23 /07 /2026 | Available online 01 / 08 /2026 | DOI: 10.26629/uzfaj.2026.42

Abstract

This study aims to examine the contributions of Islamic legislation to strengthening the value of citizenship among Muslims in light of the intellectual and social transformations that have weakened the sense of national belonging and social identity. The study addresses the following central question: How does Islamic legislation contribute to promoting citizenship and reinforcing national belonging in the face of contemporary intellectual challenges? It further explores the legislative foundations of citizenship in Islam, the ethical and educational values that support it, and their role in promoting social cohesion, security, and stability.

The significance of the study lies in highlighting the capacity of Islamic legislation to shape responsible citizens by fostering values of loyalty, belonging, justice, honesty, trustworthiness, mercy, solidarity, benevolence, and love of. The study also seeks to clarify the legislative objectives underlying these values and to demonstrate the educational role of the Qur'an and the Prophetic Sunnah in cultivating responsible citizenship.

The research adopts the descriptive-analytical method through the analysis of Islamic legal texts and the examination of their objectives related to citizenship. The findings reveal that Islamic legislation offers a comprehensive framework of ethical and legal principles that reinforce responsible citizenship, strengthen both religious and national belonging, enhance social cohesion, and contribute to building a secure and stable society capable of addressing contemporary social challenges.

Keyword: Islamic Legislation; Citizenship; National Identity; Moral Values; Prophetic Sunnah; Social Cohesion.

"Articles published in *Univ Zawia* Faculty Arts J are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License

إسهامات التشريع الإسلامي في تعزيز قيمة المواطنة لدى المسلم

زياد نصرات

قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة، جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا

تاريخ الاستلام 22/ 2026/06 تاريخ القبول23 /2026/07 تاريخ النشر 2026/08/01

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان إسهامات التشريع الإسلامي في تعزيز قيمة المواطنة لدى المسلم، في ظل ما يشهده العصر من متغيرات فكرية واجتماعية أسهمت في إضعاف قيم الانتماء الوطني والهوية المجتمعية، الأمر الذي أفرز تحديات تستدعي إبراز الدور الإصلاحي للتشريع الإسلامي في ترسيخ هذه القيمة. وتنطلق الدراسة من إشكالية رئيسة مفادها :كيف يسهم التشريع الإسلامي في تعزيز قيمة المواطنة لدى المسلم وترسيخ الانتماء للوطن في مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة؟ ويتفرع عنها عدد من التساؤلات، من أهمها: ما الأسس التشريعية التي تقوم عليها المواطنة في الإسلام؟ وما أبرز القيم الأخلاقية والتربوية التي يعززها التشريع الإسلامي لترسيخ الانتماء الوطني؟ وما أثر هذه القيم في تحقيق الأمن والاستقرار والتماسك المجتمعي؟ وتتمثل أهمية البحث في إبراز قدرة التشريع الإسلامي على بناء شخصية المواطن الصالح، وترسيخ قيم الولاء والانتماء والمسؤولية الاجتماعية، بما يسهم في تعزيز الأمن والاستقرار وتحقيق التعايش داخل المجتمع. كما يهدف إلى الكشف عن المقاصد التشريعية التي تعزز المواطنة، وبيان دور النصوص الشرعية والسنة النبوية في غرس قيم العدل، والصدق، والأمانة، والرحمة، والتكافل، والإحسان، وحب الوطن. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل النصوص الشرعية واستقراء مضامينها ومقاصدها المتعلقة بقيمة المواطنة، وصولًا إلى بيان أثرها في بناء الفرد والمجتمع. وتوصلت الدراسة إلى أن التشريع الإسلامي يقدم منظومة متكاملة من المبادئ والقيم التي تعزز المواطنة المسؤولة، وترسخ الانتماء الوطني والديني، وتسهم في تحقيق التماسك الاجتماعي، وبناء مجتمع يسوده الأمن والاستقرار والتعاون، بما يعكس عالمية الإسلام وصلاحيته لمعالجة القضايا المجتمعية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية :التشريع الإسلامي، المواطنة، الانتماء الوطني، القيم الأخلاقية، السنة النبوية، التماسك المجتمعي.

مقدمة

فمن المعلوم أن قضية تعزيز المواطنة في نفس كل فرد من أفراد المجتمع من القضايا المهمة في هذا العصر، لاسيما ونحن نعيش زمن التشتت الفكري والأخلاقي والانتماء الذاتي، وقل إن شئت الانتماء الوطني، فهذه القضية ليست بالجديدة وإن ادعى أولئك الغرب حداثتها، بل هي قضية أصيلة كان لها أثرها العميق من بدايات القرون الأولى وزادت أهميتها في بداية ظهور الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل السلام وأزكى التسليم؛ فقد ضرب لنا المثل الأعلى في إخراج قيمة هذه المواطنة لدى نفس المسلم عندما أخرجه قومه من مكة وهي أحب الأماكن إلى قلبه، إذ ترعرع بين أحضانها ونشأ بين أحبابه وأهله، ومع ذلك أخرجوه منها منكسر القلب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة:(مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) (الترمذي1395هـ- 1975 م، رح (3926)، 723/5). فهذا الحديث يدل دلالة صريحة على تأكيد تعزيز هذه الفضيلة في نفس المسلم، وهذا ما جاء في كثير من النصوص القرآنية التي تنادي في مجموعها وتحث على حب الوطن وصدق الانتماء إليه، ويكفينا شاهدا على ذلك في استعراضه عن صدق إيمان أولئك المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وقلوبهم معلقة بحب وطنهم، ولكن لما كان لاتباع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عظيم، فقد خرجوا من ديارهم وضحوا بأوطانهم في سبيل الله تعالى، وأنزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، تثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين، إ قال تعالى: {للفقراء ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أولئك هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ } [سورة الحشر:8].

لذلك فإن المتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يلمس تلك التوجيهات النبوية في حل كل الأزمات المجتمعية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، لاسيما غرس حب الوطن في نفس المسلم، بعيداً عن تلك العنصرية المذمومة، والجاهلية المقيتة.

إشكالية البحث:

نحن اليوم نعيش في زمن المتغيرات الفكرية التي تزعزع فيه قيمة الانتماء الذاتي للنفس من جهة، واستشعار قيمة المواطنة في النفس من جهة أخرى، واستئصال جدور الحب الصادق له من النفس، حتى خرج ذلك الانتماء عن مساره المألوف والمعهود سابقا، والمتأصل فطريا في قلب كل فرد، وهذا ما سعى إليه أعداء الدين الإسلامي، ولكن ما هو معلوم أن حل كل المشكلات المجتمعية قائم على سنّ قوانين وقواعد يرجى منها تحقيق ذلك الانتماء الوطني، ولكن هناك تساؤلات تطرح نفسها في هذا السياق منها:

-هل استطعنا اليوم أن نجعل المنهج التشريعي منهجا متبعا في تحقيق الانتماء للوطن؛ لكونه من أكثر المناهج نجاعة في ارتقاء المجتمع وسموّ أخلاقه؟

-هل عملنا على تفعيل المنهج التشريعي في حلّ أزماتنا الحياتيّة اليومية حتى تتحقق من خلالها قيمة المواطنة؟

-هل استطعنا اليوم أن نحقق في أنفسنا شخص النبي،ﷺ ، لكونه القدوة الحسنة؟

-هل استطعنا اليوم أن نضع حلولا لكثير من الإشكالات التي قسمت ظهر المجتمع الإسلامي، كالفقر، والعنف، وعدم تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين أفراده، كما عالجها النبي، في زمانه؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق التالي:

-إبراز دور النبي،ﷺ في تحقيق قيمة المواطنة.

-ترشيد المسلم إلى ذلك المنهج التشريعي الذي عمل على تحقيقه من خلال المقاصد التشريعية العليا.

-إرشاد المسلم إلى أن المحافظة على استقرار المجتمع وتحقيق الأمن فيه، أساسه تحقيق الانتماء للوطن.

-محاولة التأكيد على عمق العلاقة بين الإنسان ووطنه، والعمل على تحريك عاطفة الشعور بالانتماء إليه والمحافظة عليه بكل الطرق الممكنة.

منهجية البحث. لقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التاريخي لسرد المواقف التاريخية الدالة على موضوع البحث، وكذلك المنهج الاستدلالي التحليلي لبعض النصوص المستدل بها على أهمية هذه القضية، ولبيان حقيقة إشكالية وتساؤلات هذا البحث.

أولا: مفهوم المواطنة في كتب اللغة والسياق القرآني

إن المتأمل في بعض المصطلحات الجديدة التي تدور على ألسنة الكثير من المثقفين من السياسيين والمتعلمين كلفظ المواطنة يستبين له أنه لفظ مدني جديد ظهر وفقا لتلك القضايا المستجدة والأحداث الدائرة على اختلاف توجهاتها في الساحة حول العالم، ولكن ما ينبغي الإشارة إليه أن هذا المصطلح هو لفظ يحمل قضية قديمة قدم التاريخ من لدن آدام إلى قيام الساعة؛ لكونه يحمل قضية جوهرية لاسيما في الدين الإسلامي، والقارئ لكتب السيرة والتاريخ الإسلامي يلمس ذلك من خلال تلك الحروب التي قامت في مختلف بقاع الأرض جهادا في سبيل تعزيز هذه القيمة، من خلال الدفاع وحماية الأرض والنفس والعرض، قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (التوبة:24)

ومن هنا نقف على معنى هذا المصطلح في كتب اللغة السياق القرآني

-مفهوم المواطنة في اللغة

بالتتبع الحرفي لكمة المواطنة نجد أن الأصل في تركيبها (و ط ن) هذا الحروف الثلاثة لا شك عند جمعها تدل دلالة واضحة على كلمة جامعة تحمل في مضمونها معاني عدة، وما يهمنا في هذا السياق

الدلالي لهذه اللفظة هو ما يحمل معنى كلمة الوطن التي اشتقت منها لفظة المواطنة، فمن تلك المعاني الدالة على الوطن ما جاء في كتاب لسان العرب: "وَطَنَ بِالْمَكَانِ وأَوْطَنَ أَقام؛ الأَخيرة أَعلى، وأَوْطَنَهُ: اتَّخَذَهُ وَطَناً. يُقَالُ: أَوْطَنَ فلانٌ أَرض كَذَا وَكَذَا أَي اتَّخَذَهَا مَحَلًّا ومَسْكَناً يُقِيمُ فِيهَا... وأَوطَنْتُ الأَرض، ووَطَّنْتُها تَوطِيناً واسْتَوْطَنْتُها أَي: اتَّخَذْتُهَا وَطَناً، وَكَذَلِكَ الاتِّطانُ، وَهُوَ افْتِعال مِنْهُ. غَيْرُهُ: أَما المَوَاطِنُ فَكُلُّ مَقام قَامَ بِهِ الإِنسان لأَمر فَهُوَ مَوْطِنٌ لَهُ" (ابن منظور1414هـ، 451/13)

وفي هذا المعنى جاء في المعجم الوسيط ليدل على مَكَان إِقَامَة الْإِنْسَان ومقره وَإِلَيْهِ انتماؤه ولد بِهِ أَو لم يُولد. (إبراهيم مصطفى وآخرون 104/2) وبالتأمل يستبان لنا من هذا الكلام أن الوطن هو ذلك المكان الذي نعيش فيه وتستقر فيه حياتنا.

- دلالات المواطنة في السياق القرآني

بتتبع لسياق الآيات القرآنية نجده قد استخدم ألفاظا دالة على معنى المواطنة وإن اختلف التركيب اللفظي لكلمة الوطن، ولنتأمل قول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (البقرة:84)، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة:126) وقال:{ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا } (الإسراء:5) ، وقال سبحانه: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ } (التوبة:25)، وقال عز شأنه: { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} (الحشر:9) .

ولو لم يكن لقيمة الانتماء للأرض الذي ولد فيها كل أحد منا أثر في نفسه، لما جعل النفي عن الوطن عقوبة مستحقة لمن حارب الله وأفسد في الأرض التي ينمتي إليها، وهذه العقوبة بلا ريب أن لها أثر عظيم بالغ في السوء على نفس ذلك المنفي، قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.(المائدة :33)

إن المتأمل في مجموع هذه الآيات وغيرها من الآيات في كتاب الله وما جاء فيها من كلمات تدل على المعنى الذي أشار إليه التركيب اللغوي السابق، ككلمة دياركم في الآية الأولى، وبلدا في الثانية، والديار في الثالثة، ومواطن في الرابعة، والدار في الخامسة، يلمس من خلالها ذلك المعنى المراد، فجميع هذه الالفاظ تدل على ذلك المكان الذي يعيش فيه كل فرد منا.

ولما كان هذا هو المعنى المراد، كان لزاما على كل قائم في موطن ما أن يقيم حقوقه، فيقدم له ما عليه من واجبات، كحفظ أمنه واستقراره، والبعد به عن الضرر والفساد، وما من شأنه أن يسئ له وللقاطنين فيه، وهذا مأمور به شرعا، فالوطن أمانة في عنق كل من سكن فيه، وأقام، وقد أمر الله بحفظ الأمانات،

قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (الأحزاب:72).

ولكن بالنظر للتركيب اللفظي لكلمة المواطنة، نجد أن هذا اللفظ جديد مستحدث وإن دلت على مفهومه بعض النصوص اللغوية أو التشريعية؛ لأن من خلال البحث في تلك النصوص التشريعية الآمرة للمسلم بحفظه لمقاصدها التشريعية نجدها أنها تأمر ذلك الفرد المسلم أن يؤدي ما عليه من حقوق اتجاه نفسه أولا، ثم إخوانه من المسلمين، واتجاه الناس من غير المسلمين. وبلا شك أن القيام بهذه الواجبات والحقوق لا تكون إلا في جماعة من بني جنسه.

وإذا ما تكونت هذه الجماعة في مكان واحد يجمعهم الانتماء الديني، أو العرقي، فلا بد لهم من تحقيق مصلحة ذلك الانتماء من خلال الحفاظ على أهداف ومصلحة هذه الجماعة، وهذا ما أكدت عليه النصوص التشريعية، وانطلاقا من هذا المفهوم الأولي يمكن أن نطلق على تحقيق ذلك الانتماء الذاتي لتلك الجماعة بالمواطنة، وهذا ما يجعلنا أن نحدد المصطلح بشيء من الدقة عندما نبين تلك العلاقة بين الفرد المسلم ووطنه، أو ما يسمى بمفهومنا الحالي الدولة، إذاً المواطنة هي علاقة بين الفرد ودولته أو وطنه، هذه العلاقة لابد أن تنظمها مجموعة من التشريعات والقوانين مشتركة بينهما في تحقيق مصلحة كل منهما، ولعل الأصل في تحقيق أمر هذه المواطنة كمسلمين في بلاد الإسلام، لا يتم إلا من خلال قول الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (التوبة:71).

ولأن القرآن وصف غير المسلمين أيضا بأنهم جماعة أخرى أولياء لأنفسهم قال تعالى:{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} (الأنفال:73) بغض النظر عن اختلاف العلماء في تقسيمهم لأهل الأديان الأخرى، هل هم ملة واحدة، أو كل دين ملة؟، ولكن هذا ما يجعلنا أن نبين من خلال المبحثين القادمين المبادئ التي تقوم عليها هذه المواطنة، لكونها تقوم على أساس توفير حق الفرد المسلم ومصلحته الشخصية في ظل جماعته من جهة، ومن أخرى المحافظة على مصلحة جماعته داخل الوطن أو الدولة، ليتمتع كل منهما بحقوقه بما يكفل للجميع تحقيق الأمن والاستقرار فيه.

-المواطنة في الاصطلاح

قبل التعريف الاجرائي لكلمة المواطنة لابد أن نحدد مفهوم الموطن في الاصطلاح لكونه: هو تعبير قويم، يعني به حب الفرد واخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الارض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ الوطني والتفاني في خدمة الوطن (الشيباني 1971، ص:165) فموطن المواطن هو ذلك المحل

الذي نوى أن يقيم فيه ويتخذه مكانا لكسبه والعيش فيه، ويجرى عليه عرقه وينفذ فيه حكمه، فهو رعية الحاكم الذي يقيم تحت ولايته. (عمارة 1973، ص:11)

وفي هذا جاء المعنى القانوني في بيان مفهوم الموطن لكونه المقر الذي يعيش فيه الشخص بنشاطه القانوني، وعلاقاته مع غيره من الأشخاص بحيث يعتبر موجودا فيه على الدوام ولو تغيب عنه بصفة مؤقتة. (الزناتي، ص:376) كما جاء بيان مفهومها في الموسوعة العربية العالمية: بأنها: اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن. (الموسوعة العربية العالمية 1999، ص:189)

من أجل ذلك حاولت بيان بعض تلك الحقوق والواجبات اتجاه الوطن، أو الدولة من خلال المبحثين التاليين.

ثانيا: تعزيز الانتماء الوطني لدى الفرد المسلم

إننا نجد اليوم في معنى هذا الانتماء الحقيقي شعوريا وحسيا أن هناك خلط فكري لمجموع القيم الإسلامية، حيث أربك مشهد الانتماء الديني والاجتماعي للوطن، حتى صار الكثير لا تتحقق فيه مسائل ذلك الانتماء بقدر ما تتحقق فيه مسائل التبعية الفكرية لذلك التطور المريب، وهذا ما سعى ويسعى إليه أعداء هذا الدين الحنيف، وهو تجريد أتباعه من كل الولاءات والانتماءات الدينة والوطنية بلغة صريحة معلنة أمام الجميع، فلا ينكرها إلا جاحد، وهذا ما أخبرنا به النبي ، فيما رواه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ،:(لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ إِذًا) (صحيح البخاري، رح (7320): 103/9)

جاء معنى سُنن من كان قبلكم في كتاب عمدة القاري شرح صحيح البخاري: "أي طريقة من كان قبلكم يعني في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه". (العيني، 52/25) وهذا ما أكد عليه ابن البطال في شرحه للحديث إذ قال: "قال المهلب: قوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) بفتح السين هو أولى من ضمها؛ لأنه لا يستعمل الشبر والذراع إلا في السنن وهو الطريق فأخبر، أن أمته قبل قيام الساعة يتبعون المحدثات من الأمور، والبدع والأهواء المضلة كما اتبعتها الأمم من فارس والروم حتى يتغير الدين عند كثير من الناس". (ابن بطال،1423هـ-2003، 366/10) .

وهذا ما نشاهده اليوم في زمننا باتباع الأهواء والبدع والمحدثات من الأمور الوافدة علينا من دول الغرب، وأعرضنا عن تلك القيم الأخلاقية التي جاء بها النبي، حتى صرنا تائهين لا نعرف لأنفسنا ولاء ولا انتماء، وهذا هو السر في تشبيه النبي ، ذلك الاتباع بجحر الضب، فما هو معلوم لدى الناس أن جحره بفتحة واحدة مع قذارته، فمن دخل فيه فقد تحققت المهلكة في حقه، فكذلك بيّن النبي ، أن من اتبع هؤلاء اليهود والنصارى على ما هم عليه أنه مهلكته واقعة لا محالة إلا أن يشاء الله بحفظه، فلا نكران إذا لهذا

الاتباع سواء على المستوى الفردي في اللباس والزينة، أو الدولي في معاملات البيع والشراء بالربا حتى ضيعنا ذلك الانتماء السليم للدين والوطن، ولكي نرجع إلى طريق الانتماء السديد علينا بالرجوع إلى مصادر التشريع التي بها يتحقق الانتماء والوفاء للوطن والدين، وهنا كان لزاما أن نحدد مفهوم الانتماء المراد تحقيقه في هذا البحث، فبالتتبع لنصوص التشريعي القرآني وأحاديث النبي ، نجدهما قد قدما للأمة الإسلامية معنى واضحا لمفهوم الانتماء للدين والوطن، وذلك من خلال علاقة الفرد مع مجموعته، وعلاقته بالوطن الذي يسكن فيه، وهذا هو الأصل في تحقيق مسألة تعزيز الانتماء للوطن لدى الفرد المسلم، وقبل عرض هذه النصوص، نعرض المفهوم اللغوي لهذا الانتماء الوطني الذي نسعى من خلاله إلى تحقيقه ولتربيته تربية وطنية صحيحة.

-وفي هذا المقام نقف أمام ذلك المعنى اللغوي لكلمة الانتماء. جاء في كتاب لسان العرب قوله: "نمَيْتُه إِلَى أَبيه نَمْياً ونُمِيًّا وأَنْمَيْتُه: عَزَوته وَنَسَبْتُهُ. وانْتَمَى هُوَ إِلَيْهِ: انْتَسَبَ. وَفُلَانٌ يَنْمِي إِلَى حسَبٍ ويَنْتمِي: يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ...، يَنْمُو إِلَى الْحَسَبِ ويَنْمِي، وَيُقَالُ: انْتَمَى فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ إِذَا ارْتَفَعَ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ. ونَمَاه جَدُّه إِذَا رَفع إِلَيْهِ نَسَبَهُ" (ابن منظور :341/15-342)

- وفي الاصطلاح: هو ذلك الاتجاه الإيجابي الذي يشعر به الشخص من خلاله بالفخر والاعتزاز نحو شيء مهم لديه، مع التزامه سلوكيا عبر مجموعة من القيم الخاصة به كالحقوق والواجبات، والتزامه أيضا بمجموعة من القيم العامة، كاحترامه القانون، والتزامه بمبدأ العدالة، وحفاظه على الممتلكات العامة، وتواصله الاجتماعي مع غيره من بيني جنسه. (بن عثمان، 2023م، ص:14)

ومن هنا يمكن القول: إن الانتماء الوطني هو ذلك الانتساب الوجداني والمكاني، الذي يربط الفرد بمجتمعه ومكانه الذي يعيش فيه بعالقة وجدانية تنمي لديه محبته والإخلاص له؛ لكونه حاجة ضرورية للمجتمعات التي يرغب أفرادها في الاستقرار المكاني، ولكونه ركيزة للوحدة والاندماج الاجتماعي، لذلك فالانتماء هو القناة الرئيسية لممارسة الحقوق والحريات المدنية. (المصدر السابق، ص:68) .

إن المتأمل لهذا المفهوم يلمس فيه ما يدل على انتماء المسلم لأمته ووطنه، فبه ينمو الوطن ويرتفع شأنه بين الأوطان، فينمتي إليه بعقيدته واتباع أوامر الشرع في ذلك، فيؤدي الذي عليه له من واجبات، ويأخذ منه ما على الوطن من حقوق، إذا فالانتماء إلى الوطن هو ذلك الانتساب التفاعلي الروحي بين المواطن ووطنه، لتحقيق أسمى الغايات في النهوض به بين الأوطان، حتى ولو كان هذا الفرد خارج وطنه بعيدا عنه، لمصلحة ما، وهذا ما نلمسه من خلال أولئك الصحابة گ، وغيرهم من العلماء لا سيما في عصرنا الحالي، نجد أنهم يعرفون بأسماء أوطانهم أكثر شهرة بأسمائهم العلمية، فمثلا سلمان الفارسي من صحابة رسول الله ، عرف واشتهر ببلده، والحسن البصري، وكذلك البخاري، والنووي، وفي عصرنا الحالي الألباني

وغيرهم كثير، هؤلاء وغيرهم ممن لم نذكر عرفوا بأسماء أوطانهم، وفي هذه تحقيق لذلك الانتماء الوطني الخاص الذي جبلت عليه نفوسهم، مع انتمائهم الطبيعي الشامل لهذا الدين الحنيف.

من هنا يمكن بيان المعنى الحقيقي لمعنى المواطنة من خلال "مجموعة القواعد والأسس التي تنبني عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة وهما: الوطن والمواطن وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هي تعبير عن الصلة التي تربط بين المسلم كفرد وعناصر الأمة، وهي الأفراد المسلمين، والحاكم والإمام، وتُتوج هذه الصلات جميعاً الصلة التي تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهة، وبين الأرض التي يقمون عليها من جهة أخرى. وبمعنى آخر فإن المواطنة هي تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهي (وطن الإسلام) وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم"(هويدي 1995، ص:13، الحبيب 1426هـ 2005، ص:29) .

تعزيز مبدأ المواطنة في السنة النبوية

ولعلنا نلمس هذا الانتماء الوطني في شخصية النبي، لما خرج من مكة مهاجر إلى المدينة جراء الظلم الذي وقع عليه من أهله وأقاربه، تاركا خلفه ومن معه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كل ما يملكون من متاع الدنيا، وقد قال كلمته المشهورة وكأنه يخاطبا أحدا واقفا بين يديه: ((أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكِ لَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) (الأزرقي 295/2).

لقد عزز النبي ، قيمة انتماءه لمكة كوطن، وأنها جزء منه لا ينفصل، وهذا ما أكد عليه حتى عند خروجه في غزواته، فعن عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، قَالَ: (.وَانْطَلَقْنَا، حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ،: سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ...، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِيَ الْقُرَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ، الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيقَتِهَا كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَا؟ فَقَالَتْ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) (مسلم، رح (6012)، 61/7)

فقوله صلى الله عليه وسلم: (هذا جبل يحبنا ونحبه)، قيل هو على الحقيقة وهذا لا يمنع من وقوعه بأن يجعل الله مثل هذه المحبة في القلب لبعض الجمادات، وقيل هو على المجاز والمقصود منه أنهم أهل أحد. (ابن حجر 8/6) يقول النووي: "قيل معناه يحبنا أهله وهم أهل المدينة، ونحبهم والصحيح أنه على ظاهره وأن معناه يحبنا هو بنفسه وقد جعل الله فيه تمييزا" (النووي 1392هـ: 62/9) .

ويصف لنا أنس شدة حبه للمدينة وأنها الوطن الذي يسكن في قلبه، فقال:(كَانَ رَسُولُ اللهِ، إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ وإِن كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا) يقول ابن بطال في شرح الحديث: "قوله: (من حبها) يعنى لأنها وطنه، وفيها أهله وولده الذين هم أحب الناس إليه، وقد جبل الله النفوس على حب الأوطان والحنين إليها، وفعل ذلك '، وفيه أكرم الأسوة، وأمر أمته سرعة الرجوع إلى أهلهم عند انقضاء

أسفارهم" (ابن بطال، 459/4) ويقول ابن حجر: "وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه" (ابن حجر: 261/3)

وهنا في هذا المقام لابد من بيان بعض جسور الالتقاء والافتراق بين مسألتي الولاء والانتماء في تعزيز قيمة المواطنة لدى الفرد المسلم، وقد عرفنا سلفا أن الانتماء هو انتساب الفرد المسلم لوطنه، وهذا ما حققه النبي ، في حبه لمكة والمدينة، وهذا الانتساب هو حق لكل فرد من أفراد دولة الإسلام، وهنا وجب أن نفرق بين أمرين اثنين وهما: الانتماء الديني، الذي هو الإسلام، والانتماء الوطني للأرض كفرد من أفراد الوطن، وهو المعبر عنه بالانتماء السياسي، ويمكن أن نلمس هذا من خلال بعض النصوص القرآنية والحديثية، فلقد عبر القرآن الكريم عن الانتماء الديني في نصوصه لمن ينتمون إلى دولة الإسلام بأنهم أخوة، قال تعالى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الحجرات:10).

فالقرآن في هذا النص بيّن أن المؤمنين أخوة أينما وجدوا على الأرض، وإن لم يجمعهم وطن، وهذا ما عبرت به النصوص الحديثية أيضا بيّن من خلالها النبي ، أن المسلمين أخوة أينما وجدوا، وقد جعل بينهم حقوقا وواجبات، يلتزم بها الفرد المسلم مع أخيه سواء كانا في دار الإسلام أم في غيرها، جمعهم واطن واحد، أو كان كل واحد منهما في وطن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ :(لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ) (مسلم رح (6633): 10/8 .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، تدل في مجملها على ذلك الترابط النفسي والقلبي بين المسلمين وإن اختلفت أوطانهم، فالجامع بينهم وحدة الدين لا الوطن، وهذا ما يبيّن لنا الفرق بين هذا الانتماء الديني الذي يجمع بين أفراده بالأخوة في الدين، وذلك الانتماء السياسي الذي يؤصل مبدأ المواطنة في قلب الفرد المسلم وحبه لوطنه الذي ولد وترعرع فيه؛ لذلك يعد الوطن شيء إلزامي بالتواجد فيه زمانيا، وهذا شرط لا يتحقق في الانتماء الديني، وهذا ما بينه النص القرآني عندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة، قال عز شأنه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْر} (الأنفال:72).

وفي الوقت نفسه نجد أن النبي ، استطاع أن يحقق ويعزز روح المواطنة بالوثيقة التي أبرهما في المدينة لما هاجر إليها، فقد حقق من خلالها ذلك الانتماء السياسي، حيث جعل ، كل مكونات المدينة على

اختلاف أطيافها وانتماءاتها الدينية والعرقية والفكرية، واندماج أولئك المهاجرين مع هذه المكونات بأنهم أفراد في مجتمع واحد تجمعهم سياسة واحدة وحاكم واحد، وقد تحققت فيهم روح الانتماء الوطني، وقد أرسى بها قواعد المجتمع الإسلامي الجديد، بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين من جهة، ومع غير المسلمين من جهة أخرى.

يقول المبارك فوري: "قام رسول الله، بعقد المؤاخاة بين المؤمنين، قام بعقد معاهدة أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية، والنزعات القبلية، ولم يترك مجالا لتقاليد الجاهلية، وهاك بنودها ملخصا: هذا كتاب من محمد النبي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم: أنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين" (المباركفوري، ص: 126،127).

إلى آخر بنودها، ولم يكتف النبي، بوضع بنود بين المؤمنين من المهاجرين والمسلمين من الأنصار، بل جعل اتفاقا آخر بينهم وبين اليهود، حقق من خلاله أيضا تعزيز روح المواطنة، انطلاقا من قول الله تعالى: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الأنفال:72).

وكان هذا بعد هجرته ، إلى المدينة، حيث عزز قواعد المجتمع الإسلامي الجديد، بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين أفراد ذلك المجتمع، فرأى أن ينظم علاقاته بغير المسلمين، وكان مقصده من ذلك تحقيق مصلحة الأمن والسلام في ذلك المكان للناس على حد سواء، فسن قوانينا محى من خلالها ذلك التعصب والتغالي بين أفراد المجتمع، ونحن نعلم أن من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود، وهم وإن كانوا يبطنون العداوة للمسلمين، فعقد معهم رسول الله ، معاهدة ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة والخصام. وجاءت هذه المعاهدة ضمن المعاهدة التي تمت بين المسلمين أنفسهم. (المباركفوري، ص:132)

ومما جاء في هذه الوثيقة قوله: (وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ، وَإِنَّ يهودَ بَنِي عَوْف أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَم وأثِم، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغ إِلَّا نفسَه، وأهلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف، وإن ليهود بني ساعدة مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف) (ابن هشام، 107/2)

مما سبق نقول: إن المتأمل في هذه النصوص التشريعية من الكتاب والسنة، والسيرة النبوية، نجد أنها قد بينت الفارق الأساسي بين لفظي الولاء والانتماء، وعرفنا أن انتماء الفرد المسلم ربما يكون انتماءه انتماء دينيا عقديا يربطه مع غيره من المسلمين برابط الأخوة ولاء للدّين لا للوطن، وهذا في صورته يختلف عن

ذلك الانتماء الذي أكده رسول الله ، في حبه لوطنه، فالرابط بين أفراد المسلمين فيما بينهم، والرابط فيما بينهم كمسلمين وغير مسلمين، هو المقصود هنا في هذا البحث، من خلال تعزيز الانتماء الوطني في نفوس أبناء الوطن الواحد، وهو ما عرفناه بالانتماء السياسي، وهو ما حققه النبي ، في المدينة حيث جعل منها نموذجا يهتدى به في بناء الدول والأوطان، حتى صارت المدينة وما جاورها دولة وفاقية، عاصمتها المدينة ورئيسها إن صح هذ التعبير رسول الله ،، والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين، وبهذا صارت لمدينة عاصمة حقيقية للإسلام، ولكي يوسع منطقة الأمن والسلام عاهد النبي ، قبائل أخرى في المستقبل بمثل هذه المعاهدة، حسب الظروف.(المباركفوري، ص:133)

وهذا ما نأمله اليوم في عصرنا أن نعزز هذه القيمة الوطنية في نفوسنا، ونفوس أبنائنا، وشركائنا في الوطن، ونغرس فيهم حب الوطن ولاء وانتماء، ولاء لدين الله فيه امثالا لقوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (المائدة:55،56)، ثم ولاءه الخاص بأسرته في الوطن الذي يسكن فيه، قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} [الإسراء:23–25]، ثم الولاء للوطن وهذا ما حققنا معناه من خلال هجرته ، للمدينة من خلال الوثيقة التي عقدها بين الناس جميعا باختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم، وهذا لا يتحقق إلا بطاعة ولي الأمر كما تحدثنا سلفا.

وهذا مما يعزز في قلب المسلم حبه لدينه، ولنفسه، ولأسرته، ولمجتمعه، ولوطنه، قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة:71)، وهذا ما حققه النبي ، في قلبه بحبه لمدينته الذي كان متأصلا في نفسه، فلم يكن مكتسبا، وعلى الرغم من خروجه منها إلا أن شغفه بحب وطنه لا يزال يملأ قلبه به، وفي هذا دلالة واضحة لذلك الولاء والانتماء لأرض ولد وترعرع فيها، وما ذلك إلا مجموعة من المشاعر الروحية والوجدانية اتجاه وطنه بالمحبة والنصرة لوطنه حتى أنه كان يسأل الله في دعائه الحب للمدينة كحبه لمكة الوطن، بل أشد، قال عائشة :(قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ، الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ،: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا، وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا، فَاجْعَلْهَا فِي الْجُحْفَةِ) (مسند الإمام أحمد، رح (24288): 332/40)

ثالثا: قيام المواطن بواجبه في المحافظة على أمن وطنه

يعد الأمن الركيزة الأساسية في استقرار حياة الناس جميعا، وفي أي مجتمع، أو دوله، فبه تنتظم حياتهم أفرادا وجماعات، وتنتشر بينهم الطمأنينة والراحة، والاستقرار في المجتمع، فالأمن بالنسبة لحياة الفرد المسلم وجماعة المسلمين بمثابة الشراع في السفينة، فإذا ما عصفت رياح الفوضة، والظلم، وانتشار الجريمة، يعمل الأمن على تثبيت المجتمع والمحافظة عليه من الانقلاب بين أمواج الفساد المتنوعة التي ربما تهلك المجتمع بمن فيه.

وقبل عرض النصوص التشريعية في مسألة تحقيق الأمن في المجتمع، لنا من الوقوف على عتبات المعنى اللغوي، حيث أن لفظة الأمن احتوت في دلالة معناها على مجموعة من المعاني، تصب غالبها في معنى واحد وهو تحقيق الاستقرار والطمأنينة بين أفراد الوطن الواحد خاصة، وبين المجتمعات المختلفة بعامة، لكون الأمن ضده الخوف، وإذا حل الخوف بين الناس حلت الفوضى وتفككت أواصر الاجتماع في المجتمعات.

الأمن في اللغة:

جاء في كتاب لسان العرب بمادة أمن: " الأَمانُ والأَمانةُ بِمَعْنًى. وَقَدْ أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غَيْرِي مِنَ الأَمْن والأَمان. والأَمْنُ: ضدُّ الْخَوْفِ. والأَمانةُ: ضدُّ الخِيانة. فأَما آمَنْتُه الْمُتَعَدِّي فَهُوَ ضدُّ أَخَفْتُه. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}. ابْنُ سِيدَهْ: الأَمْنُ نَقِيضُ الْخَوْفِ، أَمِن فلانٌ يأْمَنُ أَمْناً وأَمَناً؛ حَكَى هَذِهِ الزَّجَّاجُ، وأَمَنةً وأَماناً فَهُوَ أَمِنٌ. والأَمَنةُ: الأَمْنُ؛ وَمِنْهُ: أَمَنَةً نُعاساً، {وإِذ يَغْشاكم النعاسُ أَمَنةً مِنْهُ}، وَفِي حَدِيثِ نُزُولِ الْمَسِيحِ، عَلَى نَبِيّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:(وَتَقَعُ الأَمَنةُ فِي الأَرض) (صحيح ابن حبان، 1993، رح (6821):233/15)

أَي الأَمْنُ، يُرِيدُ أَن الأَرض تَمْتَلِئُ بالأَمْن فَلَا يَخَافُ أَحدٌ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ. وَقَوْلُهُ ,: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً}، قَالَ أَبو إسحق: أَراد ذَا أَمْنٍ، فَهُوَ آمِنٌ وأَمِنٌ وأَمِين؛ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ، وَرَجُلٌ أَمِن وأَمين بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ؛ أَي الآمِن، يَعْنِي مَكَّةَ، وَهُوَ مِنَ الأَمْنِ" (ابن منظور: 21/13) .

الأمن في الاصطلاح

بالنظر لهذا المعنى اللغوي لكلمة الأمن والتي دلت في مجملها على ضده وهو الخوف، يمكن أن نقول: إن الأمن هو عبارة عن إجراء تتخذه مجموعة الأفراد من أجل حماية مصالحها الخاصة والعامة.

وهذا ما دلت عليه النصوص التشريعية في مجمل سياقاتها النصية، فبالتأمل الدقيق لها يتضح للقارئ أن المراد من الأمن، هو تحقيق مبدأ السلام الناتج عن الطمأنينة، فبه تستقر المجتمعات، وهذا لا يتحقق إلا

من خلال تحقيق مبدأ التعاون والتآزر بين أفراد الوطن الواحد، وهو ما لا ينفك عن تحقيق أصل من أصول التشريع الإسلامي الذي ينادي بمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-مفهوم الأمن في السياق القرآني:

ومن النصوص القرآنية الدالة على تحقيق هذا الأمن بهذه الصورة بين أبناء الوطن الواحد، أو بين مجموع الأوطان، قول الله تعالى: {مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} (آل عمران:97).

فمعنى الأمن في هذه الآية ضد الخوف، وما وجب التنبيه إليه في هذا المعنى أنه ليس في معنى الآية ما يدل على أن من فعل حدا لا يُقام عليه، حتى يأمن من عقوبته، ولو كان غير هذا المعنى ما تحقق الأمن مطلقا، ولا استقرت فيه أحوال الناس، وهذا ما كان في الجاهلية، فكيف بنا اليوم؟ يقول ابن جرير الطبري في تفسيره للآية: "حَدَّثَنَا سعيد، عَنْ قتادة، فِي قوله: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} قَالَ: كَانَ فِي الجاهلية، كَانَ الرَّجُل لو جر كُلّ جريرة عَلَى نفسه، ثُمَّ لجأ إِلَى حرم الله لم يتناول، ولم يطلب، فَأَمَّا الإسلام، فإنه لا يمنع من حدود الله" (النيسابوري،2002، 304/1)

وفي هذا المعنى نفسه، يقول القرطبي في جامعه: "قوله تعالى:(وأمنا) استدل به أبو حنيفة وجماعة من فقهاء الأمصار على ترك إقامة الحد في الحرم على المحصن والسارق إذا لجأ إليه، وعضدوا ذلك بقوله تعالى:" ومن دخله كان آمنا" كأنه قال: آمنوا من دخل البيت. والصحيح إقامة الحدود في الحرم، وأن ذلك من المنسوخ، لأن الاتفاق حاصل أنه لا يقتل في البيت، ويقتل خارج البيت. وإنما الخلاف هل يقتل في الحرم أم لا؟ والحرم لا يقع عليه اسم البيت حقيقة. وقد أجمعوا أنه لو قتل في الحرم قتل به، ولو أتى حدا أقيد منه فيه، ولو حارب فيه حورب وقتل مكانه. وقال أبو حنيفة: "من لجأ إلى الحرم لا يقتل فيه ولا يتابع، ولا يزال يضيق عليه حتى يموت أو يخرج. فنحن نقتله بالسيف، وهو يقتله بالجوع والصد، فأي قتل أشد من هذا" (القرطبي: 211/2) .

لا شك أن التعدي على حدود الله، ومخالفة أمر رسوله ، من شأنه أن يزل نعم الله التي أخرجها لعباده، فالأمن نعمة من نعم الله، به تحيا الأمة في سعادة وطمأنينة، ويستقر حال الفرد فيها والجماعة، أينما وجدوا على الأرض، ولقد حذرنا رسول الله ، برفع نعمة الأمن على عباده إذا تجرؤا على معصيته، وأفشوا الفواحش بينهم، وأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، فأخسروا الميزان، ومنعوا حق أموالهم من الزكاة، ولا شك أن بمثل هذا وغيره من الأعمال يزيد من وقوع الظلم بين العباد بالقتل والغش وانتهاك الأعراض، حينئذ لا أمن ولا استقرار، ولا شعورا بحب الوطن والانتماء إليه، وهذا كله من مهلكات الأمم بدمارها، إما بالخسف، أو التسليط عليهم بما يهلكهم، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ،، فَقَالَ:(يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ

وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ) (ابن ماجة رح (4019): 1332/2) . ولأن الخوف أمر وارد قد يطرأ على كل أحد من الناس، فلا شك أنه سيؤثر عليه مادياً ونفسياً، ويذهب بنعمة الأمن التي تُمكن له من السعي والتصرف باطمئنان وراحة نفس، ولذلك كان للشعور بالخوف في بعض الأحوال، حكم في الشرع يناسب حال الإنسان عند خوفه. (التركي، ص: 22) .

هذا ما نلمسه في أهل مكة عندما بعث النبي، وقد أبدلوا نعمة أمنهم بالخوف منه، فأبدلهم الله بأمنهم خوفا، إلا قليلا منهم، فكفروا به وجحدوا نعمة الله عليهم أن جعل منهم نبي هذه الأمة، قال عز شأنه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (النحل:112) .

بالرجوع لكتب التفسير في هذه الآية نلمس أن المقصود بالقرية هنا هي مكة، كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف؛ لأن رزقها كان يأتيها رغدا بأمر الله، ولكن لما كفر أهلها بما أنعم الله عليهم ببعثة النبي، وجحدتها بدلهم الله بحاليهم الأولين خلافهما، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم، هذا في الجوع، وأما تبديل أمنهم بالخوف، وذلك عندما بدلوا أمنهم بخوفهم من بعثة النبي، وأصحابه، حين هاجروا إلى المدينة، من سطوة سراياه وجيوشه، حتى فتحها الله عليهم، وما ذلك التبديل بالخوف إلا بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول الذي بعثه الله فيهم منهم، وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم، فخافوا بعد الأمن، وجاعوا بعد الرغد، بدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنا، ورزقهم بعد العيلة، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم، وسادتهم وقادتهم وأئمتهم.(ابن كثير،1999 ، 607/4-608) .

وبعكس ذلك الخوف، ذلك الأمن الذي منّ الله به على المؤمنين بإيمانهم به أن وعدهم باستخلافهم في هذه الأرض، وليمكنن لهم دينهم الذي جاء به محمد صلى الله عليهم وسلم، ولما فعلوا ذلك قابلهم الله بنعمة الأمن والاستقرار، والصلاح بهذا، وذلك إذا أخلصوا دينهم لله فعبدوه ونصروه، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:55) .

يقول الشيخ الشنقيطي في تفسير هذه الآية: "وقال في الكفران وعواقبه: وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا

يصنعون. وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم. تنبيه آخر في الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف، نعمة عظمى لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين هاتين معا، إذ لا عيش مع الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما" (الشنقيطي ،1995، 112/9) .

-المحافظة على أمن الوطن

وفي هذا إشارة جليلة لابد من الوقوف عليها، وهي أن تحقيق الأمن في المجتمع أمر مطلوب من الجميع، على المستوى الفردي، والجماعي، سواء كانوا مسؤولين أو رعايا، فالأمن مرهون في أعناقهم جميعا، خدّاما وعمّالا، وطلبة ومعلمين، وولاة أمر وعلماء، على مختلف أصنافهم وأجناسهم، حيث ما وجدوا في مكان واحد، وهو أمر واجب معين على كل فرد منهم في جماعته، ومجتمعه، وموطنه، فيسعى كل منهم إلى تحقيقه بما يسره الله عليه بما في يديه، فهو مسؤولية جماعية، بها تتحقق الطمأنينة في السكن والرخاء في العيش، وهذا ما أشار إليه الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره، فبيّن أن الأمن حق على ولاة أمور الأمة، يبذلون جهدهم في تأمين البلاد وحراسة السبل، وتيسير الأسفار، وتقرير الأمن في سائر نواحي البلاد، بمختلف الوسائل، وهذا من أهم ما تنفق فيه أموال المسلمين، وما يبذله أهل الخير في هذا الأمر، وهو حق على أهل العلم والدين أن يرشدوا الأئمة والأمة إلى طريق الخير وأن ينبهوا على معالم ذلك الطريق ومسالكه، فقد افتقرت الأمة إلى العمل وسئمت الأقوال. (بن عاشور1984: 181/22).

"ولذلك لن يستقيم أمر المجتمع ولن يتحقق فيه الأمن ولا المصالحة الاجتماعية، اللذان بدورهما يحققان روح المواطنة في نفس المسلم إلا بالمحافظة على المقاصد الكلية للتشريع الإسلامي؛ لكونهما نظام عام يعمل على حفظ الفرد والأسرة والجماعة من الفوضى وانتهاك حدود الله بما حرم على عباده في تلك النصوص التشريعية" (نصرات، 2022، 367/2).

وهذا ما أسسه النبي، عندما هاجر إلى المدينة، فجعل بين أهلها ميثاقا شرفيا، ودستورا حقوقيا، ومرجعا لكل المنظمات الحقوقية التي تدعي بمنظوماتها غرس السلام والأمن، وتفعيل قواعد حقوق الإنسان، ولكن من نعم الله على هذه الأمة المحمدية أن جعل نبيها ، مدرسة كبرى يشد الرحيل إليها لمعرفة آثارها ونظمها وقواعدها في تنظيم الحياة البشرية، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتحقيق مصلحة السلام والأمن والأمان حتى مع من خالفهم في الدين والنسب والوطن، فقد أرسى ، قواعد حقوقية نزع بها تلك النزعة الجاهلية الأولى، والقبلية المقيتة، والأفكار المنحرفة، وهو بذلك يؤسس مجتمعا حضاريا جديدا خاليا من الترهات، والأهواء النفسية، ويسوده العلم والصلاح والتربية على مكارم الأخلاق وحسن المعاملة قولا وفعلا، محققا من خلاله وحدة المجتمع بأمنه واستقراره؛ فغرس في نفوس أتباعه روح الوطنية الفاعلة، وقيمة المواطنة انتماء إليه.

ولعل أبرز بنود تلك الوثيقة الإنسانية هي تحقيق الأمن المجتمعي بين مختلف طوائفه وأجناسه، يقول، (وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَم أَوْ أَثِم، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) (ابن هشام، 108/2) .

وفي هذه الوثيقة يقول المبارك فوري: "أثر المعنويات في المجتمع: بهذه الحكمة، وبهذه الحذاقة أرسى رسول الله، قواعد مجتمع جديد، ولكن كانت هذه الظاهرة أثرا للمعاني التي كان يتمتع بها أولئك الأمجاد بفضل صحبة النبي، كان النبي، يتعهدهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة" (المباركفوري، ص: 169،170).

لقد استطاع النبي، أن يبني مجتمعا مدنيا، قدم من خلاله الصورة المثلى للمجتمع المثالي، الذي يسوده الاستقرار، والتفاعل المتكامل بين أفراده، متحابين تربطهم الوحدة المجتمعية والانتماء الوطني، والمسؤولية الجماعية في تحقيق الأمن والسلام. فكان مجتمعًا جديدًا، أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، حيث وضع فيه حلا تتنفس له الإنسانية الصعداء، بعد أن ساد في غياهب الزمان ودياجير الظلمات، وتحققت فيه عناصر المجتمع النموذجي الجديد الذي واجه كل تيارات الزمان حتى صرف وجهتها، وحول مجرى التاريخ والأيام. (المباركفوري، ص: 171،172).

ولعلنا نجد أيضا ما جاء في تلك الصحيفة من أن النبي، أراد من خلالها أن يؤصل في نفوس أصحابه تلك المسؤولية الأمنية المجتمعية، من خلال كف المسلم أذاه عن إخوانه، وهذا هو غاية الأمن والاستقرار فمن معاني الأمن: السلامة من الأذى، فعن أَنس: أَن النَّبِيَّ، قَالَ: (المؤمنُ مَن أَمِنَه الناسُ، والمسلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانه ويَدِه، والمُهاجِرُ مَنْ هَجَر السُّوءَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يدخلُ رجلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جارُهُ بوائقَه) (الإمام أحمد، رح (12561): 29/20) .

المتأمل في هذا النص الحديثي يلمس فيه تربية مجتمعية عظيمة ربّى النبي، أمته وأدبها بها، وبيّن لها أن هذه الأمور هي أساس الطمأنينة والأمن في المجتمع، فإذا أمن المؤمنون بعدم تخويفهم وترويعهم من أخيهم المؤمن، وسلم المسلمون من لسانه ببعده عن قذف محصناتهم، وترفّع عن غيبتهم، ونأى عن طريق النميمة وقول الزور والشهادة به في حقهم، ورفع يده عنهم بالضرب ظلما، وبالقتل واستبرأ لدمائهم إلا بحقها وإقامة السلطان لها، ونزع ما في طريقهم من أذى، فقد أمن الناس وعاشوا في سعادة وألفة في موطنهم الذي هم فيه.

ولم يكتف النبي، في هذا النص بيان أذية المسلم للسلم، بل كان بيانه أعمق من ذلك عندما قال: والمهاجر من هجر السوء، وفي هذا دلالة على أن الفرد المسلم لابد له من أن يحافظ على أذية نفسه لنفسه، بتركه وبعده وإلجام نفسه عن مواطن السوء التي تعود عليه بالإثم والعدوان لنفسه، وهذا في معنى

الهجر، لأن ظلم العبد لنفسه أشد، وهذا بطبيعته أيضا يعود على المجتمع بالضرر إذا ما قام به، فإذا فسدت مصلحة الفرد فبلا شك تفسد مصلحة الجماعة أيضا، ثم ختم الحديث بما هو أعظم عند الله، وهو أن يسيء الرجل لجيرانه، وذلك بأن لا يأمن الجار من شر جاره، وهنا نفى عنه بعض الإيمان، لكون لا يؤمن الإيمان التام إذا ظهر شره لجيرانه، بالغدر أو الخيانة، ونحوهما.

ويؤكد على هذا المعنى الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ، أَنَّ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ، قَالَ: (الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ). (ابن ماجة رح (3934): 1298/2). يقول في معنى الحديث: "بحيث كان لا وجود للإيمان بدون الأمانة أو الأمن. فمن كان أمينا بحيث يأمنه الناس على أموالهم ونفوسهم ولا يخاف منه على مال أحد، ولا على نفسه فذلك الحقيق بأن يسمى مؤمنا". (ابن ماجة: 1298/2).

ويحقق النبي، معنى الأمن بمفهومه الواسع، وذلك عندما رجع فاتحا مكة، حيث أعطى الأمان والسلام لمن قاتلوه من أهله، وقبيلته، وأخرجوه وأصحابه منها، فلم يقابلهم بالسوء الذي لقيه منهم، بل كان معهم رحيما، حليما، فلم ينتصر لنفسه منهم، وهو قادر عليهم، بل ألقى بينهم الأمن في ديارهم وأرضهم ومسجدهم فقال (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاَحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ). (مسلم، رح (4647): 172/5). وبفعله هذا، قدّم للبشرية دستورا منهجيا واضحا في بناء الدولة المسلمة على أسس سليمة، يسودها الأمن والاستقرار، ذلك بأن يكون لكل دولة سلطة تشريعية حاكمة، تستمد قوانينها من المصادر التشريعية المختلفة، أو من أعراف الناس؛ لتنظم حياة المجتمع أفرادا وجماعات، ترعى مصالحهم وفق قانون منظم لها، من غير تغليب أحد على أحد، فالجميع في ذلك سواسية بقيام العدل والمساواة فيما بينهم، ومع غيرهم من غير المسلمين، لطالما قاموا بحفظ أمنهم ووفائهم بالعهد. وبلا ريب أن التشريع الإسلامي يعد منظومة قانونية متكاملة، ومنهجا تربويا قويما، بقاعدة أخلاقية اجتماعية تربط بين أفراد المجتمع على اختلاف صنوفهم وأحوالهم من جهة، وبين غيرهم من المجتمعات المخالفة لهم دينا من جهة أخرى في حالتي السلم والحرب، وما ذلك إلا لبسط الأمن ليستقر الجميع وتحل الطمأنينة فيما بينهم وفي أوطانهم.

إن أمن الدولة في مفهوما الحديث هو قيام أفرادها وعلى رأسهم ولي الأمر، بتحقيق مقاصد الشريعة بحفظ دينهم، وأموالهم، وأعراضهم، وعقولهم، من كل المتغيرات المجتمعية الحديثة، والأفكار الهدامة الغازية؛ لأن أمن الفرد من أمن المجتمع أو الوطن، فهما طرفي حبل لا ينفصلان عن بعضهما، وهذا واجب قائم في عنق ولي أمر الدولة ليتحقق بفعله ذلك حماية مصالحهم من الاعتداء عليها من خارج البلاد، وهذا ما يعرف في يومنا هذا بالأمن الوطني أو القومي، وقد تكفلت الشريعة الإسلامية بتوفير أسباب هذا الأمن ليسهل على السلطان القيام به إذا ما احتاجه، فعلى سبيل الدفاع عن العرض والأرض والوطن جاء النص

القرآني مشرعا للقيام بحق ذلك الدفاع، فقال تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} (الأنفال:60)، وعلى سبيل التكاثف ووحدة الجماعة تفعيل منظومة التعاون المشترك، وذلك على القيام بما تحتاجه في نموها الاقتصادي كإخراج الزكاة، أو إعطاء الصدقات لمستحقيها، أو بالاتجار والتكسب بيعا وشراء، بعيدا عن الربا، أو بالقضاء على من شأنه أن يهلكها بارتكاب الجرائم، وانتشار الفساد، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة:2)، وهذا قائم في أساسه على أصل مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أشرنا سلفا.

ومن هنا يمكن أن نلخص أهمية أمن المجتمع أو الوطن في أنه يتعين على كل فرد في جماعته أن يسعى بالقيام بواجبه المنوط به شرعا اتجاه جماعته، أو مجتمعه، ووطنه، فتحقيق الأمن بالنسبة له هو حماية لمصالحه الحياتية المتنوعة داخل وطنه، فبه يستطيع أن يحقق رسالته في النهوض به من خلال تحقيق مهاراته المتنوعة وهذه هي رسالته الكبرى باستخلافه في الأرض، فالأمن هو أساس تطور المجتمعات على الصعيد الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، ومعلوم هذا لا يتأتى لأي مجتمع إلا بالمحافظة على الكليات الخمس، "فالشريعة الإسلامية قد عالجت عملية الاعتداء على هذه الكليات الخمس منهج قرآني وأحاديث أحكام يحتويان على الصرامة الممزوجة بالحكمة التشريعية لأن كل الحدود الزاجرة إنما الغاية السامية منها هو تحقيق أمرين هامين هما: الأمن والاستقرار اللذان لا يتحققان داخل المجتمع الواحد إلا بإقامة العدل بين أفراده وهذا هو عين الرحمة والعدل والمساواة فيما بينهم".(نصرات ، 2022، 367/2).

نتائج البحث

– لقد اهتم التشريع الإسلامي من خلال نصوصه التشريعية اهتماما بالغ الأهمية بالانتماء الروحي للوطن، وهذا ما لمسناه من سيرته صلى الله عليه وسلم وحبه لوطنه.

– المتأمل في النصوص القرآنية الداعية للجهاد لا يخلو عنها أمر الدفاع عن الوطن متلازما مع الدفاع عن الدين والعرض، وفي هذا دليل على تعزيز مبدأ المواطنة في نفس كل فرد مسلم.

– لم يغلّب الإسلام ذلك الانتماء الديني الشامل الذي يستشعره المسلم في نفسه من خلال تحقيق الأخوة في الدين عن ذلك الانتماء المكاني الذي هو أصل منشأ كل فرد مسلم داخل وطنه فهما في كفتين ميزان متساويتين.

– هناك واجبات وحقوق فرضها الإسلام على كل فرد مسلم من خلالها تتحقق مبدأ المواطنة في قلب كل فرد داخل مجتمعه

-تؤكد النصوص القرآنية أن المساس بمبدأ المواطنة يعتبر معارضة صريحة لأمر الله؛ لأن اجتماع أفراد المسلمين في مكان واحد يعد من الأمور الكونية التي خلق الله عليها عباده.

-إن مفهوم المواطنة لا ينحصر في زاوية الانتماء المكاني وحذه فحسب، بل أن كثيرا من النصوص التشريعية تدل في مجملها على ذلك الترابط النفسي والقلبي بين المسلمين وإن اختلفت أوطانهم، فالجامع بينهم وحدة الدين لا الوطن، فهم أخوة أينما وجدوا على الأرض، فقد جُعل بينهم حقوقا وواجبات، يلتزم بها الفرد المسلم مع أخيه سواء كانا في دار الإسلام أم في غيرها، جمعهم واطن واحد، أو كان كل واحد منهما في وطن مستقل.

-إن من اهتمام التشريع الإسلامي في تحقيق معنى المواطنة في قلب كل فرد مسلم أن جعل تحقيق الأمن داخل الوطن هو حماية لمصالحه الحياتية المتنوعة داخل وطنه، حتى يستطيع مواكبة ذلك النهوض الحضاري من خلال تحقيق مهاراته المتنوعة من خلال استخلافه في الأرض، لكون أن الأمن الوطني هو أساس تطور المجتمعات على الصعيد الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي.

- إن تحقيق معنى المواطنة داخل الدولة الواحدة في صورته التامة مبينيٌ على قيام أفرادها وعلى رأسهم ولي الأمر، بتحقيق مقاصد الشريعة، وذلك بحفظ دينهم، وأموالهم، وأعراضهم، وعقولهم، من كل المتغيرات المجتمعية الحديثة، والأفكار الهدامة الغازية؛ لأن أمن الفرد من أمن المجتمع أو الوطن.

قائمة المصادر والمراجع

-الأزرقي، محمد بن عبد الله. (د.ت.) .أخبار مكة .(رشدي الصالح ملحس، محقق). دار الأندلس للنشر.

-إبراهيم، مصطفى، الزيات، أحمد، عبد القادر، حامد، &النجار، محمد. (د.ت.) .المعجم الوسيط .مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

-ابن بطال، علي بن خلف .(2003) .شرح صحيح البخاري (ياسر بن إبراهيم، محقق، ط2). مكتبة الرشد.

-ابن حبان، محمد بن حبان .(1993) .صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (شعيب الأرناؤوط، محقق، ط2). مؤسسة الرسالة.

-ابن كثير، إسماعيل بن عمر .(1999) .تفسير القرآن العظيم (سامي بن محمد سلامة، محقق، ط2). دار طيبة.

-ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. (د.ت.) .سنن ابن ماجه (محمد فؤاد عبد الباقي، محقق). دار إحياء الكتب العربية.

-ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ) .لسان العرب (ط3). دار صادر.

-ابن هشام، عبد الملك بن هشام. (د.ت.) .السيرة النبوية (طه عبد الرؤوف سعد، محقق). شركة الطباعة الفنية المتحدة.

-الأمين الشنقيطي، محمد .(1995) .أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
-البخاري، محمود بن أحمد العيني. (د.ت.) .عمدة القاري شرح صحيح البخاري .دار إحياء التراث العربي.
-الترمذي، محمد بن عيسى .(1975) .سنن الترمذي (أحمد محمد شاكر وآخرون، محققون، ط2). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
-التركي، عبد الله بن عبد المحسن. (د.ت.) .الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام .وزارة الأوقاف السعودية.
-بن عاشور، محمد الطاهر .(1984) .التحرير والتنوير .الدار التونسية للنشر.
-الحبيب، فهد إبراهيم. (2005). تربية المواطنة: الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة .مجلة المعرفة، (120).
-زناتي، محمود سلام. (د.ت.) .مبادئ القانون أو المدخل لدراسة القانون.2007
-نصرات، محمد زياد. (2022). إسهامات التشريع الإسلامي في تحقيق الأمن والسلم الاجتماعي .مجلة كلية الآداب، .(38)
-الشيباني، عمر .(1971) .تطور النظريات التربوية .دار الثقافة.
-عمارة، محمد .(1973) .رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة (دراسة وتحقيق). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
-عمارة، محمد. (2006، 3 مارس). المواطنة الإسلامية .جريدة الأخبار المصرية، العدد.(16806)
-فهمي، هويدي. (1995، 25 يناير). المواطنة في الإسلام .جريدة الشرق الأوسط، العدد.(5902)
-ماهر بن عثمان بن عبد الله أبا حسين .(2023) .الانتماء الوطني: المفهوم، الأبعاد، المكونات.
-المباركفوري، صفي الرحمن. (د.ت.) .الرحيق المختوم .دار الهلال.
-الموسوعة العربية العالمية .(1999) .الموسوعة العربية العالمية (ط1). مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
-النيسابوري، محمد بن إبراهيم .(2002) .تفسير القرآن (عبد الله بن عبد المحسن التركي، تقديم؛ سعد بن محمد السعد، محقق، ط1). دار المآثر.
-النووي، يحيى بن شرف. (1392هـ) .المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط2). دار إحياء التراث العربي.